

الفصل: السادس

## وحدة: النظريات الاقتصادية

الأستاذ: حميد بنسي

المحاضرة رقم: 2

السنة الجامعية

2021-2020

جامعة ابن طفيل	السنة الجامعية: 2021-2020
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	وحدة: النظريات الاقتصادية
شعبة التاريخ والحضارة	الأستاذ: حميد بنسي
الفصل الرابع	المحاضرة رقم: 2

### ↔ المحطات الكبرى في تاريخ الفكر الاقتصادي

يمكن تقسيم تاريخ الفكر الاقتصادي إلى مرحلتين: الأولى مرحلة ما قبل نشأة الاقتصاد كعلم قائم الذات، ثم المرحلة الثانية نشأة وتطور هذا العلم. ماذا نعني بالعلم؟

**العلم** : هو كل بحث منظم، يجري طبقا لطرق محددة من طرق التحليل، بقصد استخلاص قوانين عامة عن الظواهر الفردية المتعددة تبين الخصائص العامة لجزئيات الظاهرة الواحدة، وتحدد العلاقات بين هذه الظواهر بعضها البعض، و تمكن من الكشف عما قد يحدث في مستقبل في كل حالة توجد فيها ظاهرة من ظواهر موضوع البحث.

### ← المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل العلم (الفكر الاقتصادي في العصور القديمة والوسطى)

إن أهم ما يميز الفكري الاقتصادي خلال هذه المرحلة هو أنه كان ممتزجا بالتأملات الفلسفية والمعتقدات الدينية والأخلاقية ولم يكن له وجود مستقل كمجموعة متميزة من القوانين والنظريات العلمية. وبعبارة أخرى، فإن العصور القديمة والوسطى قد كانت لها أفكار اقتصادية، ولكنها لم تكن قد وصلت بعد إلى تكوين علم اقتصاد.

لقد سادت هذا نوع من الفكر في العصور القديمة والوسطى، ويمكن أن نذكر كأمثلة له : تأملات الفلاسفة اليونان والمدرسين ( رواد الفكر الكنيسي)، والفكر العربي الإسلامي والتيار التجاري ( المركنتلية ). بحيث أن الفكر الاقتصادي بقي حتى بداية العصر الحديث (تاريخ ظهور الفكر التجاري والطبيعي وفيما بعد ... ) مختلطا ومحاطا بالأفكار الدينية والفلسفية. فسيطرة الإنسان على بيئته كانت محدودة جدا، وبالتالي فإن سيطرة الطبيعة عليه كانت عالية. وفي مثل هذه الظروف، فإن الفكر الإنساني حول الظواهر الاجتماعية كان مشوبا دائما بالأفكار الغيبية. ولذلك يصعب القول، بأن ثمة فكرا اقتصاديا قد قام في هذه المرحلة الطويلة من عمر البشرية، ومع ذلك، فهناك بذور و بروز لبعض الأفكار التي سوف تصاحبنا لفترة طويلة، وخاصة فيما يتعلق بالجانب الأخلاقي في الكثير من الأفكار الاقتصادية.

## الفكر الاقتصادي لدى اليونان والإغريق

قبل الشروع في توضيح الفكر الاقتصادي لدى اليونان والإغريق، فلا بد لنا من الوقوف على بعض الأفكار الاقتصادية في الحضارات الأولى كالحضارة البابلية والحضارة المصرية والحضارة الصينية... أي ما يعرف بالحضارات الشرقية القديمة.

### الحضارة البابلية :

تعتبر من أقدم الحضارات في التاريخ، والشاهد على ذلك: هو جوهر ما عبرت عنه قوانين "حمورابي" في تصنيفها في لأهم "الطبقات" الفئات الاجتماعية، بحيث تم التمييز في هذه القوانين بين ثلاث "طبقات" أساسية :

◀ **طبقة أولى :** طبقة الأحرار الأثرياء والجنود؛ هدفها حماية الضعيف من القوي، كما أكدت حق الأحرار في امتلاك (الأراضي والرقيق) والتصرف المطلق بهم.

◀ **طبقة الثانية :** طبقة الحرفيين الأحرار؛ الذين يمتلكون بعض الأشغال البسيطة.

◀ **طبقة الثالثة :** طبقة الرقيق؛ فهي تشكل القاعدة الكبيرة في دولة بابل، وهي الطبقة المشغلة والمحرومة من الحقوق الإنسانية.

=== < [ إن لهذا القوانين علاقة بنشاط الاقتصادي، مما قد يعني أن هناك فكرا اقتصاديا لدى الحضارة البابلية]

### الحضارة المصرية او الفرعونية :

بالنسبة لهذه الحضارة فقد كانت ذات سلطة مركزية، و ذات أبعاد اقتصادية وسياسية. فهي تملك وسائل الإنتاج وخاصة الأراضي، حيث كان النشاط الزراعي على وجه الخصوص له دور كبير. ويمثل النشاط الاقتصادي الرئيسي، وكانت الطبقة الحاكمة والحاشية تعفي من الأعمال البدنية، و ممارسة النشاط الاقتصادي، وكان عملها مقصورا على النواحي الفكرية فقط، مما يدل على أن الحضارة المصرية كانت لها إسهامات فكرية في تاريخ الفكر الاقتصادي، ويبدو ذلك من خلال ثلاث نقط هي :

◀ ظهور نوع من تقسيم العمل .

◀ استقرار الزراعة في حقول ثابتة مما يؤدي إلى امتلاكها.

◀ السماح في العمل بالتجارة ( تمنع أخذ الفائدة " الربا" فيما بين العبرانيين أي اليهود القدماء في

مصر، ولكنها مسموح بها عند التعامل مع غيرهم )

الحضارة الصينية :

أهم ما شاركت به الحضارة الصينية و له علاقة بالجانب الاقتصادي هو اختراع الورق.

الحضارة الفينيقية :

كان لها نشاط معروف و تقاليد تجارية و ملاحية .

==> خلاصة: [ كل هذه الحضارات التي سبق ذكرها، لم تشمل سوى إرهاصات يصعب أن نسميها أفكارا اقتصادية. ولذلك تعتبر الحضارتان اليونانية والرومانية أول الحضارات القديمة التي كتبت عن فكرها الاقتصادي ]

تأملات الفكر الاقتصادي عند الفلاسفة اليونان والإغريق:

يمكن أن نذكر في هذا الباب اجتهادات كل من أفلاطون و أرسطو.

**◆ أبرز إسهامات الفيلسوف اليوناني أفلاطون 428-347 ق.م**

تطرق أفلاطون لمجموعة من القضايا ذات طابع اقتصادي كمسألة تقسيم العمل والملكية والتبادل وكذا وظيفة النقود.

و من أبرز إسهاماته كتابه الشهير المسمى (جمهورية أفلاطون) أو المدينة الفاضلة. يبحث في هذا الكتاب عن موضوع "الدولة أو المدينة المثلى" ، بحيث يتبدى كتابه بتساؤل مركزي عن معنى فكرة **الحق أو العدالة** ، سواء كان ذلك بالنسبة للفرد أو بالنسبة للمدينة. ولم يشأ أفلاطون أن يبدأ بتحديد هذه الفكرة بالنسبة للفرد، ثم ينتقل لتحديدها بالنسبة للمدينة، بل اختار الطريقة العكسية، بأن يبدأ بعرض العدالة في المدينة لأن هذه الأخيرة في شموليتها أكبر من الفرد، بحيث تكون كمية العدالة المتعلقة بها أكبر مما لدى الفرد، مما يجعل من السهل إدراك العدالة والتعرف عليها. وتأتي الأفكار الاقتصادية في هذا الكتاب بمناسبة البحث عن المدينة العادلة /الفاضلة/ المثلى، التي يتحقق فيها العدل والحياة الطيبة ومن خلال تحدّثه عن الفضائل والذائل، و أرجع أصل الدولة و قيامها إلى العامل الاقتصادي.

ومن هنا يتبين كذلك، ما سبق ذكره بخصوص خضوع الاقتصاد السياسي لدى أفلاطون للأخلاق ولل فلسفة السياسية.

يبدأ أفلاطون تحليله عن الدولة (المدينة) ببيان أن أصل الدولة و أسسها يرجع إلى العامل الاقتصادي. فيقول في كتابه الجمهورية صفحة 102: " إن الدولة تنشأ لأن الفرد لا يمكن أن يكفي نفسه بنفسه. بل تكون له حاجات عديدة لا يستطيع أن يشبعها وحده. فيجتمع معا عدد من الأفراد كاف لأن يشبع كل منهم حاجات الآخرين، فيعيشون كشركاء أو كمساعدين لبعضهم لبعض، وتتكون من المجموعة التي ينشئونها بهذه الطريقة و ما يعرف باسم الدولة".

و من أهم الأفكار التي أتت ضمن رؤى أفلاطون وذات بعد اقتصادي، نذكر ما يلي :

**1 < تقسيم العمل:** لقد نادى بتقسيم العمل في الدولة، حيث أكد على أن كل شخص له موهبة و كفاءة خاصة به ثم أن تخصص كل شخص يؤدي إلى الزيادة في الإنتاج كما ونوعا وبالتالي يرى أن كل شخص يجب أن يتخصص في مهنة معينة .

**2 < البنية الاجتماعية:** قسم أفلاطون المجتمع إلى ثلاث "طبقات" أو طوائف وهي:

\* **طبقة الحكام:** العمل المنوط بهم هو الحكم

\* **طبقة الجند:** مهمتهم الدفاع عن هذه الدولة أي المدينة الفاضلة

\* **طبقة العمال و الصناع ثم العبيد والرقيق يكونون الجانب الأدنى:** و هم كل من يعمل في النشاط الاقتصادي .

**3 < الملكية:** يلغي أفلاطون الملكية الخاصة لطبقة الحكام، وأن لا يكون له روابط عائلية، فلا يتزوجون و لا يكونون عائلات حتى لا يكونوا خاضعين للإغراء المادي و لا للضعف العاطفي اتجاه الأقارب، مما قد يصرف الحكام عن إدارة الحكم لصالح المجموع. و نفس الشيء بالنسبة للجنود إذ حرموا من الملكية الخاصة نظرا لطبيعة مهامهم، وأبيحت الملكية الفردية والعائلية (الحق في الزواج) لطبقة المنتجين. غير أن أفلاطون لا يرجح الملكية المطلقة، بل يقيدتها بشروط تدعو الدولة للتدخل للحيلولة دون الفقر المدقع و الثراء الفاحش. بصيغة أخرى، إذا كانت الملكية الخاصة بالنسبة لغير طبقة الحكام والجنود ليست حرة مطلقة بلا حدود، فالدولة يجب أن تتدخل لمنع الفقر المدقع، ولمنع الثراء الفاحش على حد السواء، لأن كلاهما ينتج أثرا سيئا على نوع الإنتاج وعلى المنتج نفسه، فإذا أثرى المنتج فإنه يصبح كسولا ومهملا، وإذا كان فقيرا فقرا مدقعا فإن ذلك سيمنعه من أن يمد نفسه

بالمعدات اللازمة للإنتاج، مما يضعف من مزايا إنتاجه ويجعل ابنائه أو غيرهم ممن يتعلمون على يديه يتلقون تعليماً حرفياً سيئاً، الأمر الذي سينعكس سلباً في كل الحالات على إنتاج المدينة.

**4 < النقود :** يرى أفلاطون أن للنقود دوراً مهماً في المدينة الفاضلة، واعتبرها وسيلة لتبادل، وأداة لقياس القيمة كيف ذلك؟ لأن تقسيم العمل الذي نادى به وتخصص المنتجين كل واحد في حرفته، يؤدي إلى إنتاج بضائع متخصصة و سلع معينة، وبالتالي ضرورة عرضها في السوق، بحيث سيعرض كل واحد إنتاجه على الآخرين، و من هنا نشأت ضرورة إلى وسيط للتبادل، مما أدى إلى بروز النقود والحاجة إليها كأداة للتبادل من جهة، وعلى حد قولنا اليوم، كوسيط للمبادلة، لماذا؟ لأن قبول النقود في المعاملات لا يرجع إلى قيمة المادة التي تكون تلك النقود مصنوعة منها، ولكن إلى اتفاق الناس على استخدامها كوسيلة للمبادلة .

**خلاصة:** ما الحكم على أفكار أفلاطون، خاصة الأساس الاقتصادي لنشأة الدولة وتنظيمها السياسي و تقسيم العمل؟

إن تفسير أفلاطون **لنشأة الدولة** يمكن تقريبه مما عرف بعد ذلك باسم نظريات التضامن الاجتماعي كأساس للعلاقات الاجتماعية ( فحاجة الأفراد بعضهم لبعض الآخر تولد نوعاً من التضامن فيما بينهم تضامناً بسبب الاختلاف وعدم التشابه، وذلك يبقى على الروابط بينهم).

أما فكرة **تقسيم العمل**؛ يعتبر بداية التيار الفكري الذي درس هذه الفكرة. وهي الفكرة التي تطرق إليها آدم سميث في القرن 18 م، إلا أن هناك اختلاف في طبيعة تقسيم العمل فيما بينه وبين أفلاطون.

ينادي أفلاطون بتخصص كل فرد في حرفة أو مهنة معينة ارتباطاً بكفاءات ومواهب طبيعية تجعله صالحاً لهذه المهمة أو الحرفة أكثر من غيرها، بحيث يترتب عن هذا التخصص زيادة الإنتاج وتحسنه لهذا السبب. أما آدم سميث فيهتم بعملية تقسيم إنتاج السلعة الواحدة إلى عدة عمليات جزئية، يتخصص في كل عملية جزئية منها شخص أو أشخاص معينون وليس ذلك على أساس مواهب الفرد الطبيعية، ولكن على أساس، أن هذا التخصص يزيد من إنتاجية العمل الإنساني.

أما المسألة الثالثة: بخصوص **التنظيم السياسي للدولة وتقسيمها إلى 3 (طبقات)**، فإن أفلاطون كان يعتقد أنه في إمكانه إقامة مدينة "مثلى" من الناحية العملية. لعل ذلك كان ممكناً فعلاً في المدينة الإغريقية القديمة الصغيرة الحجم الضئيلة السكان، أما في حالة العكس أي عندما كبرت المدينة وكثر عدد سكانها فيبدو أمراً غير ممكن الحدوث وهو الشيء الذي جعل بعض الكتاب يطلقون عليها اسم المدينة الخيالية.

# حظ موفق للجميع